تجليات الواقعية الإجتماعية في القصة القصيرة

(لم أعرف أن الطواويس تطير أنموذجاً)

طالبة الدكتوراه فوزيه جلالي
قسم اللغة العربية و آدابها ـ فرع طهران مركزي ـ جامعة آزاد الإسلامية ـ طهران ـ إيران
Foz.jalali.lit@iauctb.ac.ir
الدكتورة سندس كردآبادي (الكاتبة المسؤولة)
الأستاذة المشرفة ـ قسم اللغة العربية و آدابها ـ فرع طهران مركزي ـ جامعة آزاد الإسلامية ـ طهران ـ إيران
Sou.kordabady@ iauctb.ac.ir
الدكتورة ناهده فوزي
الاستاذة المساعدة ـ قسم اللغة العربية و آدابها ـ فرع طهران مركزي ـ جامعة آزاد الإسلامية ـ طهران ـ إيران
Non.faa2204@gmail.com

The manifestations of social realism in the short story

("I didn't know that peacocks fly" as a model)

Fozieh jalali
PHD student , Department of Arabic language and literature , Tehran Central Branch , Islamic Azad University , Tehran , Iran
soundos kordabady (Corresponding Author)
Assistant Professor , Department of Arabic language and Literature , Tehran Central Branch , Islamic Azad University , Tehran , Iran
Nahede fouzi
Assistant Professor , Department of Arabic language and Literature , Tehran Central Branch , Islamic Azad University , Tehran , Iran

الملخص:

لم تكن القصة في يوم من الأيام بمنعزل عن محيطها، اجتماعية كانت أم سياسية أم اقتصادية لأنها تمثل واقع الحياة، والحديث عن القصة يعني الحديث عن الواقع الحياتي للناس. وبما ان المذهب الواقعي يعكس الواقع بصورة أدبية ويهتمّ بكل أدب وفن يعتني بالواقع المعاش، نحاول تطبيق هذه النظرية على أحد القصص القصيرة لبهاء طاهر أحد أشهر رواد القصص القصيرة في العالم العربي الحديث والذي ينحو في رواياته منحي واقعيّا يعني برسم الواقع الاجتماعي العربي وتحليل أسبابه ودوافعه. تهدف هذه المقالة ومن خلال المنهج الوصفي - التحليلي إلى تبيين أبرز تجليات الواقعية الاجتماعية وإظهار موقف الكاتب من الواقع المعاش بكل ما يواجهه من قضايا ومشكلات اجتماعية في مجموعته القصصية ((لم أعرف أن الطواويس تطير)). ومن أهم النتائج التي توصلت المقالة إليها هي أن الأسس الواقعية تسربت في هذه المجموعة القصصية القصيرة وأن هذه المجموعة تنم عن الاوضاع المتدهورة ومن أبرز تجلّيات الواقعية فيها: وصف الشخصيات، الاهتمام باللغة العامية، التعبير عن الآراء السياسية والاجتماعية، والإشارة إلى مظاهر الحداثة وتقابلها مع التراث.

الكلمات المفتاحية: الواقعية الاجتماعية، بهاء طاهر، القصة القصيرة، ((لم أعرف أن الطواويس تطير)).

Abstract:-

The story was never isolated from its surroundings, be it social, political or economic, because it represents the reality of life, and talking about the story means talking about the reality of people's life. Since the realist doctrine reflects reality in a literary way and is concerned with all literature and art that takes care of the lived reality, we try to apply this theory to one of the short stories of Bahaa Taher, one of the most famous pioneers of short stories in the modern Arab world, whose novels take a realistic approach that is concerned with drawing the Arab social reality and analyzing its causes and motives. This article aims, through the descriptive-analytical approach, to clarify the most prominent manifestations of social realism and to show the writer's position on the lived reality with all the social issues and problems he faces in his story collection "I did not know that peacocks fly". Among the most important findings of the article is that the factual foundations have leaked into this short story collection and that this group denotes the deteriorating conditions and the most prominent manifestations of realism in it: characterization, interest in the vernacular language, expression of political and social opinions, reference to aspects of modernity and their correspondence with heritage.

Key words: social realism, Bahaa Taher, the short story, "I did not know that peacocks fly".

المقدمــة:

الواقعية هي ترجمة عربية عن كلمة realism)) الفرنسية من جذر real)). وبصورة عامة فإن هذا المذهب الادبي يهتمّ بكل ادب وفن يعتني بالواقع المعاش، فالواقعية بمعناها الحقيقي عبارة عن مذهب خاصّ ظهر في بداية القرن العشرين في عام ١٨٣٠ ميلادي في فرنسا ومن ثمّ انتقل إلى شتّى بقاع الارض (ميرصادقي، ١٣٨٦: ٣٠٨). وهي انعكاس الواقع بصورة ادبية وقد بزغ هذا المذهب كردة فعل على المذهب الرومانسي الذي سبقه بالبزوغ في بريطانيا وأمريكا (داد، ١٣٨٠، ١٥٥).

إن النقاد يطلقون اسم الواقعية الفنية أو النقدية على الاتجاه الواقعي ويعني هذا استناد الأدب أو الإنتاجات الأدبية إلى الواقع الذي نعيشه (فضل، ١٩٨٠: ٦) والتعبير عن هموم المجتمع وآلامه وقضاياه المتعددة المتنوعة (بودربالة والآخرون، ٢٠٠٥م: ٤) كما أن الإنتاج الأدبي الذي يتجه هذا الاتجاه يلتزم بقواعد الشكل الفني للقصة القصيرة أو الرواية. فالواقعية إذن توصيف لمضمون العمل الفني والأدبي كما أنها توصيف لشكله الخارجي والتزام العمل بصفات جنسه الأدبي.

إن الواقعية تحرص على الارتباط بالواقع وتسجيل أسراره وإبراز خفاياه (بيتروف، ٢٠١٢م: ٨٥) فهي إذن تختلف عن الرومانسية التي قامت على فكرة أن مهمة الأديب لا تزيد على خلق العالم من العدم مع بعثه الحياة التي يراها لائقة بالعالم الخيالي ومعني هذا أن الواقعية تحاكي الحياة اليومية وترصد شتي مظاهرها الاجتماعية وعلي أن هذه المحاكاة ليست نقلا آليا لسلبيات الحياة وإيجابياتها ولا تسجيلا فوتوغرافيا لهذين الشيئين بل هي عملية صياغة الواقع وإبداع فيه ولابد أن تكون هذه الصياغة صياغة واعية تقوم على المتخيل كما تقوم على التصوير والتشكيل والنمذجة(يوسف، ٢٠١٣م: ٩).

إن النقاد يقسمون الواقعية إلى انواع مختلفة وألذي يهمنا هنا هي الواقعية الاجتماعية التي تعامل المجتمع و قضاياه معاملة اجتماعية فالقاص يأتي بالحلول للمشكلات التي يواجهها المجتمع الذي يعيش فيه كما أنها تري أن على الأديب أن يصور الصراع الطبقي بين العمال والفلاحين وطبقة الرأسمالية والبرجوازيين مع الإشارة إلى انتصار الأولي التي هم ممكن الإبداع على الثانية التي هي أصل الشر في حياة الإنسان(قدار، ٢٠١١: ٨)

وتعد الواقعية الاجتماعية مذهبا نقديا شاملا بكونها تستند إلى الماركسية، والمذهب الماركسي مذهب شامل تجمعه ثلاث صفات: فهو مادي- جدلي- تاريخي، ومن المتعارف عليه أن المضمون الطبقي هو الذي يسهم في رسم المذهب الأدبي، كما أن التطور التاريخي للمجتمعات الإنسانية استطاع أن يحقق تطورا مماثلا في المذاهب الأدبية.

أما السؤال الذي تحاول المقالة الإجابة عنه فهو: ما هي أهم تجليات الواقعية الاجتماعية التي تناولها الكاتب في مجموعته القصصية القصيرة هذه؟

أسبقية البحث:-

بالنسبة إلى خلفية البحث فهناك دراساتكتبت عن بهاء طاهر وأعماله القصصية منها:

- ((الموت والحلم في عالم بهاء طاهر))، للكاتب شاكر عبدالحميد، وقد خلص المقال إلى ان هناك ثلاث محاور رئيسية في قصص بهاء طاهر تتمثل في الموت والسلطة والرؤيا. وان الموت تجلّي بمعناه الحقيقي والاستعاري.
- ((الزمن السردي ودوره في عملية إنتاج المضمون في قصّة ((الخطوبة)) القصيرة لبهاء طاهر))، للكاتب جابر سوسوني. وقد قام الكاتب بدراسة الازمنة الروائية في هذه القصّة وفق نظرية جيرار جينت.
- ((بررسي عنصر شخصيت در رمان ((خالتي صفية والدير)) لبهاء طاهر على أساس نظرية ((فليب هامون)) للكتّاب حسن فاتحي، فرامرز ميرزايي وبي بي راحيل سن سبلي وقد سعي المقال إلى دراسة شخصية ((خالتي صفية والدير)) وفق نظرية فليب هامون.
- ((ثقافة الحب والكراهية والموت في رواية خالتي صفية والدير لبهاء طاهر)) للكاتبة مها حسن يوسف قصراوي فقد درست فيها ماهية الحب والبغض والموت.
- ((ويژگيهاي فني و موضوعي داستان در آثار بهاء طاهر)) للكاتب جواد اصغري، وقد هدف المقال إلى التعريف بالسمات الفنية والمحاور المضمونية في قصص بهاء طاهر.

لكن كما نري لا توجد دراسة مستقلة تهتم بتجلّيات الواقعية في القصة القصيرة ((لم أعرف أن الطواويس تطير)) لذا قررنا دراسة وتحليل مظاهر الواقعية في هذه المجموعة.

تشتمل المجموعة القصصية القصيرة ((لم أعرف أن الطواويس تطير)) على ستّ قصص قصيرة:

((إنت اسمك إيه؟))

يدور الحديث في هذه القصة حول حفيد الراوي الذي يبلغ من العمر عامين ويعشق اللغة الروسية إلا أن عشقه محصور بتمزيق غطاء الكتب الروسية، وهو الذي يحاول بلع ما يقف أمام ناظريه، ويمزق الروايات الروسية والشعر والنثر ويسعى في تحطيم كل أثاث البيت، ويحاول الكاتب باللهجة الدارجة ومن خلال عملية ثنائية وحوار مزدوج، رسم جانب من لا مبالاة الحفيد ومشاغباته وكيفية تعامل أسرته معه.

((سكان القصر))

قصة سكان القصر قصة حول قصر غامض قد سرى الغموض لأهله أيضا، فيتطرق الكاتب لذكر الأقاويل والإشاعات المتعلقة به وبسكانه. بعد وصف القصر والبيئة المحيطة به يغير محور الحديث ويتناول أقاويلا وإشاعات عن قاعدة القصر الأمنية وكونه معبدا لعبدة الشيطان، وكونه خاليا ثم رَدّ كل هذه الإدعاءات والإشاعات ثم يتكلم عن شخصية غامضة في القصر ويشير إلى الأوضاع الحاكمة في القصر في إطار حوار ثنائي على لسان جارين للقصر (عاشور والبهنسي) ثم يحاول الراوي التكلم عن حراس القصر ويتكلم عن الأجواء السائدة في القصر بصورة خاصة وتلك التي تحكم المجتمع بصورة عامة بخلقه لواقعة صناعية.

((لم أعرف أن الطواويس تطير))

في هذة القصة القصيرة يعود بهاء طاهر عودة ضئيلة إلى ماضيه وإلي حكايات صديقين له نيكولا ومارلين فيتكلم هنا عن قصة غامضة عن طيران طاووس ما ويحاول الكاتب رسم لهف الحب وضياع العمر بالكلام عن ماضيه وماضي صديقيه الذين كانا يحبان بعضهما البعض ولكنهما إنفصلا وبلغا سن الشيخوخة.

((كلاب مستوردة))

هذه القصة قصة زوجين عانا من الفقر العاطفي فكانت المرأة تملأ هذا الفقر بواسطة كلبها (ساكي) والرجل بواسطة صديقة له. فيحاول الكاتب أن يثير شبهات حول التبذير في شراء الكلاب و توريدها ثم جعلها أهلية وبيان المعضلات الناشبة من هذا الأمر من جهة، ومن جهة أخرى يتكلم عن وفاء الكلاب ودورها في ملأ النقص العاطفي.

((قطط لا تصلح))

في هذه القصة التي تروي عن لسان القاص يدور الكلام عن الحياة الشخصية لرجل أرغم أن يقضي الشهور الأخيرة قبل تقاعده في مكان خارج من الشركة في المنجم وكان عليه أن يصبح جاسوسا، ويلتقي هذا الرجل في فندق بأحد موظفي الفندق باسم سعيد ثم يقابل قطط السيدة صاحبة الفندق. يشير سعيد إلى قصة القطط هذه والعمليات المختلفة المجرية عليهن بواسطة الأطباء، ثم يتكلم عن إهتمام صاحبة الفندق لهن، وفي النهاية يحاول الكاتب من خلال الحديث عن القطط، أن يوجه إنتقادات للحكومة وتغطرسها في تعبيد الشعب وعدم الاهتمام بتخصصاتهم وطاقاتهم ومؤهلاتهم ورغباتهم.

((الجارة))

هذه حكاية رجل مصري يعيش في فرانسا مع زوجة فرنسية تدعى روزالين. تجاورهم إمراة عجوزة لم تعاملهم في البداية بحفاوة ولكن أصبحت هذه العجوزة رويدا رويدا من أصدقاء عائلة هذا الرجل المصري. يتكلم الراوي عن قسوة الولدان وتركهم لوالديهم ويتكلم عن قلة الحنان والحب الصادق الذي مات في هذا العصر عند الأطفال في إطار كلامه عن حياة العجوزة الفرنسية والمشاكل والأمراض التي تعاني منها.

٣- مكونات الواقعية في ((لم أعرف أن الطواويس تطير))

٣-١) الشخصية

تتعدد الشخصية من أجل الرؤى والمطامح والإيديولوجيات وثقافة الكاتب، وتختلف من حكاية لأخرى بناء على البنى الإجتماعية والإقتصادية والإيديولوجية والثقافية التي يحملها الكاتب (مرتاض، ١٩٩٨: ٨٣). يمكن للشخصية التي تخلقها أفكار المؤلف أن تكون

حيوانا او أي شيء وهي لا تنحصر في الإنسان فقط (ميرصادقي، ١٣٧٧: ٣٠١) وأن الشخصية هي شخص بكل ما يحمل من خصائص أخلاقية وذاتية من خلال أعماله وأقواله، ودواعي هذا التصرف وهذا الخلق هي التي تكشف ماهية الأغراض لهذه الشخصية (مستور، ١٣٨٦: ٣٣).

يعتقد آرتور آسابرغر أن الاهتمام بالشخصيات من الأرضيات والتقنيات التي يجب أن يمتلكها الكاتب ويرى أنه يمكن خلق الشخصيات بواسطة الوصف والمحاورة وكذلك ردود الفعل. غالبا ما يحاولون ان يكملوا عملية وصف الشخصيات بإعطاء الشخصية صفة او صفتين: أحيانا يقدمون للشخصية إسما يميزها عن غيرها وأحيانا يعرفونها من خلال بعض شخصيات أخرى، ويستخدم الكتاب فنون كثيرة لوصف الشخصيات مثل بيان الأقوال والأعمال والرؤى (آسابرغر، ١٣٨٠: ٦٦). يتقدم الفن الواقعي في بيان الشخصيات النوعية وفي الروايات الواقعية لا تحمل الشخصية صفاتها فحسب بل هي تمثل الشريحة المجتمعية التي عاشتها.

يختار بهاء طاهر كتابة قصته بناءً على المبدأ الواقعي لتبيين أفكار ومعتقدات شخصياته البسيطة التي تنتمي إلى الشريحة المتوسطة في المجتمع أمثال أحمد وحفيده في قصة ((إنت إسمك إيه))، عاشور والبهنسي في قصة ((سكان القصر))، نيكولا ومارلين، موظفي الإطفائية والبستاني في قصة ((لم أعرف ان الطواويس تطير)) وحمدان موظف الشركة وسعيد في قصة ((قطط لا تصلح)) ورزالين وزوجها، وسوروندون بويل وشادي و... في قصة ((الجارة)). كل هذه الشخصيات مستوحاة من الشارع العام وهي ليست شخصيات خارقة او شهيرة. إلا أننا في هذه المجموعة القصصية قلّما نري شخصيات غير عادية تتنافى مع شخصيات القصة الواقعية ومردّ ذلك يعود إلى تبيين التعامل المستهدف من قبل بهاء طاهر بين الشخصيات وتلاقي التناقضات والفوارق بين التراث والحداثة.

ففي الرواية الأولى ((أنت إسمك إيه)) يرسم الكاتب شخصية أحمد الجد ضمن حوار ثنائي بسيط يدور بينه وبين حفيده الصغير المشاغب بغية إرشاده وتربيته بلغة حنونة، شخصية عادية تعتني بشؤون أسرتها وفي مواجهة فرط نشاط حفيده وتحركاته الكثيرة يلبس لباس الصبر والحب والألفة ويسعى دائما ارشاده.

نواجه في قصة ((سكان القصر)) نوعين من الشخصيات؛ الأولى تتكون من سكّان القصر وعلى رأسهم ((باشا)) حيث لا يعرف أحدٌ شيئاً عن حياة هؤلاء السكان ولا عمّا يجري داخل القصر ولا تتسرب أية أخبار من داخله أبدا، والثانية تتمثل فيمن يجاور القصر والذين غطت على حياتهم حياةُ القصر وسكانه. تدور أحداث الرواية حول عاشور والبهسني وهما الموظفان العاديان في الشركة والصديقان الحميمان الذين يقضيان حياتهما بالمرح والسعادة ولم ينسيا بعضهما البعض بعد التقاعد وما زال التروّاد بينهما مستمرا، ولقد دخلا في أعمال أخرى لكسب المعاش فالأول مصمم والآخر مهندس:

((قنع عاشور بالعمل مهندسا في الحكومة وأقام معرضا واحدا، غير أن أعماله السوريالية لم تحقق أي نجاح فلم يكرر التجربة. كان مرتبه أيامها كبيرا نسبيا فاستطاع أن يقتني لوحات لفنانين كبار)) (طاهر، ٢٠١٠: ٢٤).

ثم في خضم مجريات القصة يحاول الكاتب أن يتطرق للذكريات التي عاشها عاشور و البهسني، خالقا في نفس الوقت جوا واقعيا للحكاية: ((في تلك الليلة إذن كان يجلس في البار مع زميل دراسته وصديق عمره المهندس البهنسي. ومع أن البهنسي قد خرج مثله إلى المعاش قبل بعض سنين، إلا أنه مازال يعمل مستشارا بعقد يتجدد كل سنة في إحدى الهيئات الحكومية الحساسة)) (نفس المصدر: ٢٦).

تدور قصة ((لم أعرف أن الطواويس تطير)) حول حياة أصدقاء قدماء لشخصية الراوي، مارتين صديقة للراوي قضت حياة الحب مع نيكولا ولكن الراوي بعد فترة طويلة التقي بهما مرة أخرى و وجد أنهما إنفصلا عن بعضهما البعض؛ فيجد الكاتب من خلال حوار بين الرواي ومارتين، فرصة مناسبة لكي يتكلم عن خصائص البشر وخيانته، وعدم إلتزامه ونقض العهد عند الرجال والنساء في العصر الحاضر، فهكذا يشير بطريقة ما إلى ضعف العلاقات بين الناس و عدم التزام بعضهم ببعض: ((ما أعرفه هو أن كل الرجال مثل كل النساء! ضحكت وهي تقول: تقصد أنهم كلهم سفلة؟ أقصد كلهم بؤساء. ما أردت قوله إنني في حياتي قد جرحتني نساء وإني أيضا قد جرحت نساء وحين أتذكر كل هذه القصص القديمة لا أكاد أصدق أني كنت ضعيفا إلى هذا الحد مرة وقاسيا إلى هذا الحد مرة أخرى))(نفس المصدر: ٤٨). فكما يلاحظ بادر الكاتب إلى تسليط الأضواء على حياة

الإنسان الحديث و صفاته البارزة في إطار حديثه عن عاشقين قدما للحب ما قدما ثم ما لبث حتى أن انفصلا عن البعض.

أما رواية ((كلاب مستوردة)) فهي محاولة أخرى لبيان الإختلاف و التناقض السائد بين نزعتين في حياة زوجين دون أن يشير الكاتب إلى اسمهما فيكتفي بذكر "باشا" و"مادام" ويشير الى المشاجرة بينهما. فالكلب(ساكي) وطعامه وسلامته وحفظ سلالته أهم الأمور في حياة الزوجة مادام في حين ينشغل باشا بعمله إذ انه مقاول ثري لا يهمه سوى المال و جنيه، و ليس لديه الوقت للتفكير بغير هذا. وصف الشخصيات في هذه الرواية يوحي للقارئ عدة رسائل هي: إن كل شخص يحاول الوصول إلى مبتغاه فقط، فالأول مشغول باللاشيء والفراغ والثاني مشغول بجمع المال والثروة وهذه هي النزعة الغالبة على الإنسان المعاصر، مشيرا إلى أن الحياة العائلية الرصينة فقدت مكانتها وباتت الأمور التافهة على رأس الالتزامات العائلية مما يؤدي إلى هشاشة الكيان الأسري فبات الكلب في حياة مادام الزوجة كل شيء دون اعتناءها بالأمور المنزلية أو حتى معالجة عقمها أما الباشا المقاول المنهمك بجمع المال فهو أيضا على علاقة حب مع إمراة أخرى تدعى "زيزيت": ((فهمنا أن الباشا المهندس غارق تماما في حب زيزيت هذه الأيام، فما رايك، هل نقول له إننا لا نمانع في الطلاق)) (طاهر، ٢٠١٠: ٧٣).

قصة ((الجارة))تتحدث عن حياة جارين يسكنان في عمارة، وتروي الحكاية قصة إمراة تدعى "سوروندون بويل" تبلغ من العمر ٨٠ عاما؛ وتعيش لوحدها وتقوم بكل أعمالها بنفسها، وجاك ابنها مهندس ويعيش مع زوجته في الفيلا الشخصية له، وكلاهما يعتقدان ان والدته يجب ان تعيش في بيت المسنين إذ ليس بمقدورها العيش بمفردها وهما لا يملكان الوقت الكافي لمراقبتها (نفس المصدر:١٠١). ولكن سيدة قصتنا على الرغم من كبر سنها تملك شخصية قوية نافذة حيث تدير امورها المنزلية بنفسها بل إنها تساير الحياة اليومية بصورة مجدية. ذات يوم عند خروجها من الحمام تقع على الارض و تنكسر رجلها مع ذلك لم يأت ابنها جاك لزيارتها ولم يساعدها ولكن الجيران قاموا بمساعدتها وأخذوها إلى المستشفى ثم طلبت الخروج من المستشفى بنفسها وخرجت لأنها كانت تعتقد بأن حالتها ليست حادة ولا داعي لأخذ الصور والتحاليل: ((قالت لنا بلهجة ظافرة وهي تبتسم: أراد

هؤلاء الاغبياء حجزي في المستشفى لإجراء تحاليل وصور أشعة أخرى. أي تحاليل وأي صور؟ هي رجل مكسورة لا أكثر! وقعت على ورقة تعفيهم من المسؤولية إذا ما حدثت مضاعفات أو إذا ما مت ثم خرجت باختياري)) (نفس المصدر: ٩٩).

ومن شخصيات هذه القصة أيضا، روزالين وزوجها وهما يمثلان زوجين بسيطين وفي نفس الوقت شفيقين، خاصة روزالين فهي تبكي في أول وهلة حين تواجه الأمور المحزنة؛ لهما إبنان؛ سمير وشادي وسمير تزوج وتركهما مع زوجته جانيت وهو منعزل عن أهله تماما مثل جاك (سوروندون بويل) و قد كرس حياته في خدمة زوجته وحياته الشخصية، ولكن شادي يأتي لزيارتهما كل أسبوع على الرغم من بُعده عنهما ويزورهما. وكان روزالين وزوجها سندا لبويل في جميع مشاكلها فهما يزورانها دائما ويستمعان إلى مشاكلها أيام تعسها.

ويمكننا القول إن بهاء طاهر قد تمكن من عرض نماذج حية من المجتمع ومن خلال مواضيع و قضايا كالتمسك بالأمور الجانبية في الحياة، عدم الإكتراث إلى بؤرة العائلة وهشاشة بنيانها في العصر الحديث، الإعتناء بالماديات والامور اللاإنسانية في الوقت الراهن، عدم الإعتناء بالأخصائيين ومراعاة حقوق البشر وعدم إعطاءها المنزلة اللائقة بها، تناسي فضل الأب والأم خاصة في شيخوختهما.

٣-٢) الوصف

يعتبر الوصف عنصرا وسمة بارزة في الآثار الواقعية، والكاتب الواقعي يصف شخصياته من زوايا متعددة سواء إن كانت تلك الشخصية إنسانا أم حيوانا فعلي سبيل المثال في قصة ((سكان القصر)) يصف الحراس بشكل دقيق: ((عدد الحراس ما بين ١٥-٢٠ يقفون حول القصر على مدار الساعة. كلهم طوال القامات مفتولو العضلات. أزيائهم الموحدة بيضاء ناصعة، وتتدلى من خواصرهم مسدسات، رؤساؤهم اكبر سنا ويميلون قليلا إلى الامتلاء وتكور البطن))(طاهر، ٢٠١٠: ٢٠). وله أيضا: ((أذكر وجهها الجميل والغمازتين في خديها وأذكر ابتسامتها التي لا تغيب والتي تعدى بالابتسام)) (نفس المصدر: ٤٤).

وسواء في هذا المثال أو في الأمثلة التي جاءت حول شخصية سوروندون بويل فإننا سنجدها شخصية مرحة جميلة ينتابها الفرح وهذا يدل على ان الشخصية تعتني بظاهرها و

نشاطها كثيرا. وهذا ما نراه في وصف الكاتب لهذه الشخصية والإشارة إلى كل التفاصيل: ((في عينيها برغم سنها(الذي قدرت أنه يقارب الثمانين) نظرة مرحة تكاد تكون نظرة شقاوة طفولية. هي قصيرة وممتلئة وشديدة العناية بنفسها، شعرها الكستنائي المصبوغ مصفف جيدا ومقصوص حتى منتصف رقبتها. تضع زينة خفيفة ووقورة على وجهها، لكن التجاعيد المترهلة في رقبتها تكشف سنها الحقيقي)) (طاهر، ٢٠١٠: ٩٣).

فقد صوّر بهاء طاهر من جهة النظافة الخارجية للشخصية التي تتمتع بمظهر جذاب وجميل برغم كبر سنها ومن جانب آخر إحساسها الداخلي ونظرتها اللطيفة الحنانة.

إضافة إلى وصف الشخصيات البشرية في القصة نجد أن المؤلف ينشغل بوصف الحيوانات والطيور وظواهرها وصفا دقيقا. فعلي سبيل المثال يصف الطواويس وجمالها وشكلها الظاهري: ((هي طيور جميلة بالفعل. الرقبة الزرقاء اللامعة والصدر والاجنحة البنية- البيضاء، والذيول الطويلة بالوانها الزرقاء والخضراء المرصعة بزهور من دوائر بيضاء ومذهبة- ألوان يستحيل على اي رسام أن يجمع بينها بمثل هذا الانسجام...)) (نفس المصدر: ٥٠).

كما يصف القطط و ظاهرها: ((كانت سبع قطط مختلفة الألوان ساحرة الأعين مثل كل القطط، نظيفة جدا ورشيقة الحركة)) (طاهر، ٢٠١٠: ٨٤). هذا وقد جعل الكاتب أكثر توصيفاته في خدمة شخصيات روايته إلا أنه لم ينس وصف الحوادث والحيوانات ووصف الحركات التي تنبعث من شخصيات الرواية وهو بالواقع يعرفنا على فكره وإنه يعرفنا من خلال توصيفاته، على الشخصية وأبعاد حياتها الخفية والصغيرة ثم يجعلنا نتعرف على الشخصية وفرحها وقوتها وشجاعتها وصلابتها.

٣-٣) توظيف اللهجة المحكية

عموماً توظيف اللغة العامية واللهجة الدارجة في الأعمال السردية يزيد من شعور القارئ بالتعاطف والرفقة مع العمل وتكون واقعيته أكثر وضوحا وجلاء. وهذا ما نراه في قصة ((إنت اسمك إيه))، هذه القصة التي تتكلم عن حوار ومناوشة كلامية بين الجد وحفيده أحمد، فالكاتب لجأ إلى اللهجة الدارجة لخلق جو من الألفة والتعاطف من جهة

ورسم الجو العادي والواقعي من جهة أخرى، وهذه إحدي خصائص وسمات الأعمال الواقعية، ((فيزيد توظيف اللهجة الدارجة واللغة العامية في العمل الروائي من واقعه الاجتماعي)) (سالميان وآخرون، ١٣٩٢: ٢٩).

تدور قصة ((إنت اسمك إيه)) حول وصف سلوك طفل مشاغب ومفرط النشاط اسمه أحمد فأنه يقوم بتمزيق جميع أنواع الكتب إلى تكسير الأطباق والأدوات المنزلية وتناول كل ما يستطيع؛ هذه القصة مليئة بالعامية سواء في السرد أو في توظيف الكلمات والعبارات والاصطلاحات. توظيف عبارات عامية مثل " ميه، عبيه، كخ و..." و إستخدامها بطرق مختلفة ومتعددة حسب اللهجة العامية ويبدو عنصر الواقعية أكثر جليا ووضوحا في هذه القصة من خلال الحوارات التي أجريت بين الشخصيات الروائية من جهة، وتوظيف اللهجة المحكية يومية أحداث الرواية والأهم من ذلك استخدام اللغة العامية: ((قالت أمه وهي تضحك: إحنا مش عبط يا بابا: هو عايزك تفسحه في عربية بحق وحقيقي. قلت وأنا أحاول احتضانه: أحمد حلو.. أحمد جميل.. عبية بعدين، الأول مم.. وبعدين عبية. - عا.. عا.. عا.. قالت أمه بلهجة تربوية حكيمة: ما ينفعش كده يا بابا.. لازم تشغله بحاجة تانية)) (طاهر، ٢٠١٠: ١٢).

في هذه المحادثة القصيرة بين الأب والأم والحفيد، نري البعد العاطفي والواقعي للقصة مرئياً جداً ويفهم القارئ ذلك الأمر بوضوح أفضل وكأنه في قلب الحادثة. فالحوار الذي يدور بين الجد وأحمد الصغير غالباً باللغة العامية، مما جعل القصة أكثر واقعية: ((شايف يا أحمد القطة اللي فوق السطح؟ الله: قطة جميلة ناو.. ناو.. - عا.. عا.. عا.. الله! الله! يه دي يا أحمد؟ حمامة؟ وايه اللي في الشارع دي)) (نفس المصدر: ١٣).

٣-٤) التعبير عن الآراء الإجتماعية والسياسية والنقدية

ذكر حقائق المجتمع من أهم سمات الأعمال الواقعية مع أن بهاء طاهر لم يأت بشكل مباشر بالحقائق السياسية والاجتماعية لمجتمعه، إلا أنه قام بنقده في ظل الشخصيات وما يحدث لها في سياق القصة، القمع الحكومي والتشدد والاستبداد تجاه المجتمع وشعبه وتفتيشهم والتحقيق معهم ومنعهم من المرور عبر المراكز الحساسة وملاحقتهم وتكثيف تفتيشهم ومراقبة تحركاتهم وترويضهم وتسليمهم بطرق مختلفة، تضييق الخناق على موظفي

الدولة هي بعض الأفكار االمذكورة في هذا الرواية.

من خلال دراستنا لقصة ((سكان القصر)) نجد ان الناس يخافون من إبداء آرائهم حتى في بيوتهم وخاصة اولئك الذين يسكنون بجوار المراكز المهمة، ففي هذه الرواية عندما تُروي مسامرات عاشور وصديقه البهنسي نراهما يذكران أيام الحوار والفرح الماضي والقصر وسكانه ويشبهانه بقلعة كافكا ورموزه الغامضة، وحين أراد عاشور التكلم عن القصر نجد ان البهنسي يمنعه من هذا: ((يضحك عاشور ويقول: أو ربما يكون القصر قلعة كافكا. لم يكن البهنسي قد قرأ رواية كافكا، لكنه هز رأسه موافقا وقال بعد لحظة تأمل استوعب بها جرعة من كأسه: كأنه ما كان ينقصنا هو هذا القصر، كما لو كانت هناك أزمة في الألغاز أكمل عاشور نعم، كما لو كانت كل الأشياء الأخرى مفهومة في هذه المعيشة الزفت والبلد الـ... رفع البهنسي يده أمام وجه صديقه وقال بحزم: كفي!)) (طاهر، ٢٠١٠: ٢٧).

أو عندما يذكر عاشور، بعد إغلاق النوافذ من قبل زوجته، أنهم مرتاحون، تذكّره زوجته فورا بأن كل شيء تحت السيطرة وأن المكان مراقب حتى ولو كانت النوافذ مغلقة: ((قال المهندس عاشور لزوجته في تشف بعد أن أغلقت الشيش: الحمدلله. وقعوا في بعض! لكن زوجته أشارت بيدها عبر الشباك المغلق إلى حيث الكاميرات والميكروفونات فلزم الصمت على الفور)) (نفس المصدر: ٣٦).

وإضافة إلى هذا يشير الكاتب إلى وجود كاميرات متحركة على سطح القصر وهي مجهزة ومزودة بميكروفونات حساسة قادرة على تسجيل همسات المارة وما يحدث في غرفة نوم الجيران: ((إلى جانب ذلك توجد في أعلي السور كاميرات تليفزيونية تدور بشكل لولبي ويقال أيضا إنها مزودة بميكروفونات حساسة جدا، يمكن أن تلتقط همس المارة في الطريق وما يدور في غرف نوم الجيران)) (طاهر، ٢٠١٠: ٢١).

ويشير الكاتب في قصة ((كلاب مستوردة)) ضمن حوار بين باشا ومادام إلى قضية الكلاب والإهتمام الزائد بها واستيرادها، ثم يشير إلى عدم الإكتراث بحياة الناس والغوص في أمور جانبية أخرى كما تتحدث ضمنياً عن سوء الإدارة الاجتماعية والاقتصادية مشيرا إلى استيراد أشياء غير ضرورية من دول أجنبية وأنواع مختلفة من الكلاب وتدمير الاقتصاد المحلي بطرق مختلفة:((كل هذه الأموال التي تسمح له باستيراد الكلاب المافتيس أو الفالتيس

أو أيا كان اسمها، ثم لماذا من أوكرانيا بالذات؟ ألم يكن يستطيع الانتظار إلى أن تلد كلبة مافتيس في مصر)) (نفس المصدر: ٦٥).

يُظهر المؤلف بطريقة ما تحيزه تجاه الوطن والبلاد وسلعها الاستهلاكية ويدين استيراد السلع والبضائع غير الضرورية، وفضلا عن نظرته النقدية للوضع السياسي والاقتصادي للمجتمع يتطرق إلى القوانين التي تحكم هذا المجتمع وحقوق المواطنة: ((هل تعرف أنهم أصدروا منذ أيام قرارا بمنع التدخين في كل الطوابق وفي جميع المكاتب حتى ولو كنت تجلس وحدك)) (نفس المصدر: ٤٥).

٣-٥) الإشارة إلى مظاهر التراث والتجدد والتناقض بينهما

من مظاهر الأعمال الواقعية أنها تتماشى مع تطورات وتقدم العلم والتكنولوجيا؛ وفي هذه المجموعة من القصص القصيرة يتحدث الكاتب مراراً عن مظاهر العلم والتكنولوجيا في أماكن مختلفة ويشير إلى بعض هذه المظاهر. في قصة ((سكان القصر)) يشير بهاء طاهر إلى مختلف الأدوات التجسسية والأمنية: ((إلى جانب ذلك توجد في أعلى السور كاميرات تليفزيونية تدور بشكل لولبي ويقال أيضا إنها مزودة بميكروفونات حساسة جدا يمكن أن تلتقط همس المارة في الطريق وما يدور في غرف نوم الجيران)) (طاهر، ٢٠١٠: ٢١)

وفي قصة ((لم أعرف أن الطواويس تطير))، يشير الكاتب إلى اشتباك أحد الطواويس على غصن شجرة وبجانبه سيارة إطفاء وإمكانيات وتقنيات جديدة لحل المشاكل في مثل هذه الحالات. (نفس المصدر: ٥٢) وهذا الأمر يشير إلى نقطتين: النقطة الأولى هي وجهة نظر الكاتب الواقعية للحضارة الجديدة ونظرته للمحافظة على الحياة البرية وأهميتها بالنسبة للمجتمع والإجراءات و التدابير البيئية في العصر الجديد. والنقطة الثانية هي استخدام أدوات وتقنيات جديدة في خدمة حماية البيئة والحياة البشرية.

تبدأ قصة ((كلاب مستوردة)) بإحدى تجليات العصر الجديد ومظاهر الحياة الواقعية، وهي قضية الكلاب واستقبال الأسر الشديد على شرائهم وتربيتهم كعضو من أعضاء الأسرة ومشاركتهم في كل الأمور وحتى مائدة الطعام، تسمية الكلاب واستخدامهم في أغراض شتي كل ذلك من مظاهر الحداثة التي تطرق إليها الكاتب في هذه القصة: ((... لحظة يود أن يسأل المدام بكل هدوء من الذي اشترى هذا الكلب عندما طلبته؟ من الذي

يدفع كل شهر الفواتير الفاحشة لغذاء سعادته المستورد من أروبا، ولطبيب سعادته البيطري ولكوافير معاليه اللص؟)) (نفس المصدر: ٦٣).

إلا أن الكاتب يشير كذلك إلى ولاء الكلب وتعايشه السلمي مع أفراد الأسرة كما يتحدث عن خيانة ونفاق الناس في العصر الجديد ومشاكلهم العديدة مشيرا إلى كثرة المعضلات الناتجة عن الخيانة وعدم الوفاء؛ والتي جعلت البعض يميل ويبحث عن وفاء بعض الحيوانات ((ولكن فليتذكر على الأقل أنه لا يخونها أبدا. على العكس هو يفرح حين تفرح، وإذا مرضت يمرض. لا يقرب الأكل طالما هي لا تأكل. ((ساكي)) يشعر بها، أما زوجها العزيز فهو لا يكتفي بخيانتها، بل يختار اقرب صديقاتها ليخونها معها)) (طاهر، ٢٠١٠: ٦٧).

النتائج:-

بعد هذه الملازمة الطويلة للمجموعة القصصية القصيرة ((لم أعرف أن الطواويس تطير))، والمعاينة المتتابعة لها استوى البحث على طائفة من النتائج، والتي يُمكن تخليصها على النحو الآتي:

- لقد حاول بهاء طاهر أن يعبر عن أفكاره وعقائده بتسرّبه داخل الشخصيات وجعل شخصيات قصته في هذه المجموعة من القصص الأناس البسطاء والعاديين الذين لا يفعلون أشياء غريبة ولا هم خارقو العادة ولا مشاهير إلا أنه يستخدم في بعض القصص شخصيات لها سلوك غير عاد وتتعارض بشكل ما مع مسار الشخصية الواقعية، وهذا يتماشى مع التفاعل مع شخصيات القصة وتلاقي التناقضات والاختلاف بين التراث والحداثة.
- كثيرا ما استخدم المؤلف توصيفاته في خدمة تربية شخصيات القصة وتعريف الجوانب المختلفة من الشخصيات، بالإضافة إلى وصف الأشخاص، فقد وصف المشاهد والحيوانات وحركات الشخصيات في القصة. وهكذا فقد دلّنا إلى طريقة تفكيره الخاصة.
- كما استخدم الكاتب اللغة العامية واللهجة الدارجة في قصته الأولى فقط، ومن خلالها زاد من الواقع الاجتماعي للقصة وأثار شعور القارئ بالتعاطف والرفقة.

- ولقد أشار طاهر كثيرا في قصصه هذه إلى مظاهر العلم والتكنلوجيا كالآليات التجسسية والأمنية وسيارات الإطفائية والأمكانيات والتقنيات الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع

- آسابرگر، آرتور (١٣٨٠هـ.ش)، روايت در فرهنگ عاميانه، رسانه و زندگي روزمره، ترجمه محمدرضا ليراوي، تهران: انتشارات سروش.
- بودربالة، الطيب والسعيدجاباالله (٢٠٠٥م)، ((الواقعية في الأدب))، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد السابع.
- بيتروف، ٢٠١٢م، الواقعية النقدية في الأدب، ترجمة شوكت يوسف، دمشق، الهيئة العامة السورية للكتاب.
- حسين، البهاء، بي تا، قريبا من بهاء طاهر، المكتبة الالكترونية كتب عربية.
- داد، سيما (١٣٨٠هـ.ش)، فرهنگ اصطلاحات ادبي،چاپ پنجم،تهران، مروارید.
- سالميان، غلامرضا و ديگران (١٣٩٢هـ.ش)، بازتاب مؤلفه هاي مكتب رئاليسم در رمان شوهر آهو خانم، فصلنامه زبان وادبيات فارسي، سال ٢١، شماره ٧٥، پاييز. صص ١٧ – ٤٥.
- طاهر، بهاء (٢٠١٠م)، لم أعرف أن الطواويس تطير، القاهرة، دارالشروق.
- العمراني، فاروق (١٩٨٨م)، تطور النظرية النقدية عند محمد مندور، طرابلس، دار العربية للكتاب.
- فضل، صلاح (١٩٨٠م)، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، القاهرة، دار المعارف.
- قدار، قحطان (٢٠١١م)، خصائص الواقعية الطبيعية والواقعية الاشتراكيه، موقع حضارة الكلمة، شبكة الألوكة.
- مرتاض، عبدالملك (١٩٩٨م)، في نظرية الرواية. بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، عدد ٢٤٠، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
- مستور، مصطفي (١٣٧٩ هـ.ش) ، مباني داستان كوتاه، تهران، نشر مركز.
- ميرصادقي، جمال (١٣٨٦ هـ.ش)ادبيات داستاني (قصه، رمانس، داستان كوتاه، رمان)، تهران، سخن.
- _____، ١٣٧٧، واژه نامه هنر داستان نويسي، تهران، مهناز.
- يوسف، عيسي شيت (٢٠١٣م)، الاتجاه الواقعي في الأعمال القصصية لبهاء طاهر (مجموعة الخطوبة نموذجا)، رسالة ماجستير في الأدب العربي والنقد الأدبي، كلية اللغات جامعة المدينة العالمية ماليزيا.